

# ط قبل الوصول إلى السلطة

الذي هو بالضرورة دعم دولي (غربي وخليجي) نظراً إلى حساسيته وأرتباطه بالأبعاد الدولية للأزمة السورية. الثاني: هو ما يمكن تسميته بالمال السياسي، الذي يعد جزءاً أساسياً من تقاليد الجماعة، وهذا مصدره التجار من دمشق وغيرها، وفي كثير من الأحيان يأتي كعمل خيري وإنساني في ظل الظروف المأساوية التي تعانيها مناطق الريف المختلفة، كدفع رواتب شهرية للأسر المعتمدة ولقواتي الألووية. ورغم التكاليف الفلكية للشق الثاني من الدعم، إلا أن في مقدور تنظيم الجماعة تغطيته على نحو يسير، والسبب في ذلك، بحسب المتابعين، هو أن جماعة «الإخوان» في سوريا، في حد ذاتها، تعد مركزاً مالياً لا يستهان به على المستوى الإقليمي العام.

لها أميركا ملف دعم «الإخوان» تاريخياً. إلا أن كادرات الجماعة كانت تصبّ باستمرار على أن جزءاً أساسياً من التمويل ذاتي، من الجماعة نفسها، ويكثر من الفخر كانت تتكزّر عبارة أن «التجار الشوام لا يقصرون في دعم الثورة على الأرض».

عند البحث في طبيعة التمويل ووظيفته، يصبح ممكناً التمييز بين نوعين أساسيين من الدعم: الأول هو العسكري واللوجستي،

**شيوخ المفردات العشائرية أو المذهبية في أحاديث كادرات الجماعة (واقعية وتسمية للأشياء بمسمياتها)**

وبدا أن لدى كادرات الجماعة، الذين التقفهم «الأخبار»، تعليمات صارمة بعدم الإفصاح عن حجم التنظيم السياسي وتوزعه، ويأتي الرد واحداً في أغلب الأحيان: «الألوية تمثل التنظيم العسكري، أما التنظيم السياسي فيعمل على مساندة الثورة في الخارج». إلا أن البعض يعزو هذا الغموض في الحديث عن حجم التنظيم السياسي إلى ضعف الأخير قياساً بالحجم الإعلامي المعطى له. ويقول أبو بكر قصباتي، وهو معارض مدني وناشط في مجال الإغاثة، لـ«الأخبار»: «إن تضييع الحدود بين العضوية العسكرية والسياسية للتنظيم مسألة مقصودة، الغاية منها نسب آلاف الثوار، ممن أجبرتهم ظروف قاهرة على الانضمام إلى لواء الإسلام وغيره، إلى تنظيم الإخوان. وأكثر من خدمهم في هذا هو النظام، الذي ما انفك إعلامه يصف كل المعارضين بالإخوان جاعلاً منهم شعباً عملاقاً لا يمكن رده، في حين أنني لم أصدف خلال جولاتي في الغوطة الشرقية إلا قلة معدودة من الكادرات المنتمجة فعلاً إلى فكر الإخوان».

## القاعدة الجماهيرية

منذ انطلاق أولى التظاهرات الاحتجاجية في ريف دمشق، في مدينة دوما، وحتى الآن، ضيع «الإخوان» الكثير من الرصيد النضالي الذي اخترنوه على مدى واحد وثلاثين عاماً، من تجربة السجون والمنافي والإقصاء من المشهد السياسي طوال كل تلك السنين. ويمكن تلمس هذه الحقيقة بسهولة في تحوّل مواقف الناس منهم في مختلف مراحل الأزمة السورية.

ففي بداية الأحداث، لاقت الجماعة تعاطفاً في أوساط المعارضة الشعبية في معظم أرياف دمشق، وبدا ذلك واضحاً في بعض شعارات التظاهرات التي كانت تتندّد بالاعتقال السياسي والنفي. يقول قصباتي: «كان ذلك تعاطفاً من النوع الذي يكون مع أي معتقل رأي أو ضحية قمع سياسي، لا سيما أن النظام كان يرغمنا على شتمهم في كل اجتماع صاحي في المدارس»، إلا أن الجماعة فهمت المسألة بطريقة مختلفة، «وافترضت أن هذا الجمع من الناس في التظاهرات هو جمهورها تلقائياً، وأنها الوحيدة المؤهلة لإرشادها إلى جادة الصواب، فمارست عقلية السلطة قبل أن تصل إلى السلطة».

ويبرز أداء الإخوان على الأرض لا من خلال هياكل سياسية أو تنظيمية، فهذه غير موجودة تقريباً، بحسب المتابعين، بل من خلال ألويتهم العسكرية التي يبدو أنها تتلقى إرشادها العام من قيادات الخارج. ومحصلة الأداء بدورها باتت مشار استياء دائم ومنكزّر لدى اهالي الغوطة الشرقية، التي درجة خروج تظاهرات منددة بحكم «الألوية»، وبالأخص «لواء الإسلام»، في دوما وكفرطنا وعين ترما وزملكا. وتتوزع المظالم ما بين مسألتين أساسيتين: الأولى هي التضييق على الحريات السياسية والشخصية للناس، والثانية تتمثل في الحصار الغذائي والاحتكار. ففي دوما، على سبيل المثال، يمنع «لواء الإسلام» الفلاحين من نقل خضارهم إلى العاصمة لبيعها (حتى بلغ سعرها في دوما أقل من سعرها في دمشق بحوالي 15 مرة وسطياً)، في حين ينعدم وجود مواد أخرى في دوما بشكل تام مثل الخبز نتيجة سيطرة «اللواء» على الأفران واحتكاره لخبزها.

وعلى هذا الأساس، يرى متابعون أن التظاهرات التي رُصدت مؤخراً في مختلف مناطق الغوطة الشرقية تعد مؤشراً أساسياً على مدى تراجع شعبية «الإخوان» ممثلين بالويتهم على الأرض.

## التمويل

تعد هذه المسألة إشكالية نظراً إلى الدور المركب الذي لعبه «الإخوان» في تاريخ سوريا وحاضرها. ولا تنكر أوساط الجماعة تلقيها الدعم المالي من لندن، التي تظن فيها معظم قيادات الجماعة، ولا السعودية التي أسندت



في بداية الأحداث فوجئ الجيل الشاب بوجود مراكز أساسية محسوبة على «الإخوان» داخل العاصمة (أرييف)

فإلى جانب الصراع المسلح الذي نشب وقتذاك بين الدولة وتنظيم «الطليعة المقاتلة» (الجناح العسكري لـ«الإخوان»)، في حماه وغيرها، عُقدت تسويات بين الدولة و«إخوان دمشق» حيّدت قيادات الحركة، وهم تجار دمشق الكبار بشكل أساسي، وجمهورها في دمشق عن الصراع المسلح. يوضح ع. طه (53 عاماً)، وهو عضو سابق في الجماعة، لـ«الأخبار»: «لم يجد إخوان دمشق بداً من القبول بالاتفاق الذي شمل الحفاظ على مصالحهم الاقتصادية داخل البلاد. واتهمنا إخوان حماه وحلب في حينه بالتقاعس عن نصرتهم، لكن النصر العسكري على النظام المدعوم من السوفييات كان محالاً، فيما الغرب لم يقدّم للجماعة سوى المنافي». وعن حجم التنظيم وتوزعه في دمشق، يقول طه: «التواجد الأساسي للتنظيم كان يتركز في الميدان وكفرطنا، التي كانت تعد ريفاً في حينه، إلى جانب داريا. أما الغوطة الشرقية فكان تواجد التنظيم فيها ضعيفاً إذا ما قورن بنظيره الناصري أو البعثي».

أما اليوم فالمشهد يختلف إلى حد بعيد. إذ إن كل التنظيمات المسلحة التي تبدأ بكلمة «لواء» محسوبة على تنظيم «الإخوان المسلمين»، أبرزها «لواء الإسلام» و«الرضوان» و«أحفاد الرسول» وغيرها. ويتركز تواجدها في الغوطة الشرقية، إلا أن العديد من المتابعين يقللون من أهمية هذا التصنيف، ويربطون بينه وبين الدعم المالي. ويقول ع. الجازي (29 عاماً)، من «الجيش الحر» في القابون، لـ«الأخبار»: «إذا عدنا إلى بدايات العمل المسلح في الثورة لوجدنا أن المسمى الذي التفت حوله جميع الثوار كان الجيش الحر. يوماً اضطر حتى الإخوان، الذين كان عددهم ضئيلاً، للانضواء تحت لوائه. لكن التحكم في عملية الدعم المالي من جانب الائتلاف أعطاهم وزنهم الحالي، والحقيقة أن معظم المقاتلين هم من الألوية شكلاً، ومن الجيش الحر فعلاً».

## السعودية و«الجماعة»: عربي لا تفصم

المطلعين على أوضاع الجماعة لـ«الأخبار»: «جماعة الإخوان في سورية هي الأكثر حاجة إلى السعودية، لأنها فقدت نفوذها التاريخي منذ أحداث حماه، لذا فهي تميل إلى الاعتماد على التدخلات الخارجية أكثر من اعتمادها على نفوذها الذاتي. يضاف إلى ذلك أن جزءاً كبيراً من استثمارات الجماعة موجود في الخليج». ويلفت إلى أن شخصيات إخوانية شهيرة، مثل زهران علوش، قائد «لواء الإسلام»، مرتبطة بأل سعود أكثر من ارتباطها بأي جهة أخرى، حتى ولو كانت من تنظيم الإخوان الدولي، فهو «درس الشريعة في السعودية، ووالده كان شيخاً إخوانياً على علاقة مباشرة مع العائلة المالكة فيها، والأهم من ذلك أنه لا يزال يذهب إلى السعودية ويعود سراً حتى أثناء الحرب».

ترتبط بين المملكة والجماعة في سوريا علاقة استثنائية، تكاد تكون مستقلة ولا تتأثر بـ«الحرب الباردة» التي نشبت مؤخراً بينها وبين التنظيم الدولي لحركة «الإخوان المسلمين». وبالأخص قيادته في مصر. صحيح أن السعودية باتت تخشى من نموذج «دولة الإخوان»، كنموذج منافس يجري تقديمه أميركياً كي يكون بديلاً عن الأنظمة العربية الشائخة، في ظل موجة التغيير التي بدأت تصيب المنطقة، إلا أنها لا تمتلك أكثر من هذا الخيار في سوريا، والسبب، في رأي المتابعين، أنه لا يمكن للسعودية أن تسعى لاستقطاب الشارع الإسلامي في سوريا، متعدّدة الطوائف، إلا من خلال الجماعة ذات العلاقة التاريخية معها.

إلا أن العكس يصح بدرجة أكبر. يقول أحد



الجمعة ٢٠١٣/١١/٢٢  
الساعة ٩:٠٠ مساءً



**العماد أميل لحود**  
الرئيس اللبناني السابق

**حديث الساعة**

مع عماد مرمل

www.almanar.com.lb